

نمط اشتغال صيغ الخطاب في "المقامات الريانية" قراءة في "المقامة العمرية" لشرف الدين الحسين بن سليمان ابن الريان (702هـ-770هـ)

ملخص:

تبحث هذه الدراسة في كيفية اشتغال الصيغ السردية في نص "المقامة العمرية" لابن الريان ، باعتباره نصا يمثل وجهها من وجوه النثر في العصر المملوكي .

الكلمات المفتاحية: نمط ; اشتغال ; صيغ ; الخطاب ; المقامات الريانية ; قراءة ; المقامة العمرية ; شرف الدين الحسين بن سليمان ابن الريان ; 702هـ-770هـ

د. صباح غرايبية
قسم الآداب واللغة العربية
جامعة الإخوة منتوري
قسنطينة

مقدمة:

تعد الدراسات السردية من أهم المنافذ التي تتيح للباحث إمكانات إجرائية مضبوطة ، تمكنه من سبر أغوار النصوص ، والوقوف على بنيتها وتجليات أفكارها ومضامينها . لا سيما تلك التي تضرب بجذورها في التراث العربي القديم. ولعل لصيغ الخطاب من الخصوصية ما يجعلها مفتاحا يشي بمستغلقات النص، ويكشف عن أسرار صاحبه وقدرته على التنويع و التبليغ .

Résumé:

Cette étude examine comment le fonctionnement des Modes narratives dans «AL MAQUMA EL OMARIA», dont le texte a été écrit par Ibn Al-Rayyan, comme un texte représente une facette de la prose à l'époque mamelouke.

أولاً: الصيغة السردية المفهوم والتجليات :

تشتق لفظة "الصيغة" من الجذر اللغوي (ص ي غ) الذي يحيل على معنى "الهيئة التي بني عليها الأمر(1)؛ أي الصورة والكيفية" كما تدل على فعل اللغة الذي تُنتج بواسطته تعابير مطابقة للقواعد النحوية بفضل المعجم المستعمل "(2)، أي الشكل اللغوي الذي يوافق القاعدة النحوية ويؤدي دلالة مخصوصة .

ولعل هذا يتقاطع مع المعنى النحوي لمادة "Mode" في قاموس ليتريه (Littre) بوصفها " اسم يطلق على أشكال الفعل المختلفة التي تستعمل لتأكيد الأمر المقصود ، وللتعبير عن (...) وجهات النظر المختلفة التي ينظر منها إلى الوجود أو العمل " (3) وهو المفهوم الذي تبناه جيرار جينيت (G. Genette) ليقدّم تعريفه للصيغة السردية التي تبنى عنده على دعامتين هما " المسافة والمنظور " إذ تمثلان بالنسبة له صيغتي تنظيم الخبر السردية . وتشير الأولى إلى التنظيم الكمي للخبر، في حين تحيل الثانية على تنظيمه الكيفي . "(4)

إذا فقد استعار السرديون "مصطلح الصيغة من علم النحو ، للإشارة إلى جملة من المسائل المتعلقة بتنظيم المعلومة السردية " (5) ، فهي عندهم " مجموعة الموجهات المنظمة للمعلومات السردية " (6) . ثم ضبط مفهوم "الصيغة" في السرديات البنيوية على أنها "الكيفية التي يعرض بها السارد القصة، ويقدمها" (7) ، وهي في أبسط مفاهيمها "طريقة الإرسال؛ أي كيف يقدم لنا السارد المادة" (8) .

وقد نوقشت مسألة الصيغة لأول مرة عند أفلاطون (Platon) (9) ، ومن ثمة تداول الدارسون على البحث في صيغها وطرائقها . ففي حين يذهب أصحاب الاتجاه البويطيفي إلى وجود شبه إجماع على أن أرسطو (Aristotle) و أفلاطون؛ هما أول من وظفها (الصيغة)؛ وإن اختلفت طريقتهم تبعاً لفهم كل واحد منهما للأدب كحاكاة يربطها كل (تودوروف T. Todorov)، جينيت، وويلي (يرنوف) بهنري جيمس (Henry James) ، وبيرسي لوبوك (P. Lubbock) في كتابهما صنعة الرواية. أما الباحثة "سوزان رينجلر" فقد أشارت إلى أن من أدخل الصيغة إلى مجال النقد هما "ويلين، ووارين" Warren ، وليس جيمس أو لوبوك أو بيتش (Beach) عند الشكلايين الروس (10).

وفي ظل هذه الأبحاث و الدراسات تجلت الصيغة بشكل سلس وواضح في التصور الذي قدمه جيرار جينيت " الذي مثل لحظة فارقة في تاريخ الدراسات الأدبية الحديثة ، لأنه أقام للسرديات بناء خاصاً وتصوراً متكاملًا " (11). و تتحدد منطلقاته في كتابه خطاب الحكاية، ولاسيما في ما تعلق بحديثه عن المسافة "La Distance" والمنظور أو كما يسميه التنبيرات "Focalisation"؛ حيث ألمح إلى أن القضية قد أشار إليها في البداية أفلاطون؛ عندما أقام التعارض بين صيغتي الحكاية (Diégésis / Mimésis). فعندما يتكلم الشاعر باسمه (.....) فهو الحكاية التامة "Récit pur". وعندما يجتهد الشاعر أن يشعرنا أنه ليس المتكلم، فيعطي الكلام للشخصيات فهي حينئذ (المحاكاة). وبناءً على ذلك توصل إلى أنّ الحكاية الخالصة أبعد مسافة من التقليد فهي تقول أقل منه وبطريقة أكثر وساطة . كما أنه لم يغفل جهود أرسطو الذي حدّد هذه الثنائية، وجعل السرد والعرض مجرّد تنوّعين.

وفي سعيه لضبط مفهوم الصيغة السردية "Le Mode Narratif" على أنّها "تقديم السرد أو الإخبار ودرجاته" أحال على نمطين من الحكاية:

أولاً / يمكن للحكي أن يقدم للقارئ درجة أقل أو أكثر من التفاصيل، وبطريقة مباشرة بهذا الشكل أو ذاك، وهكذا فعل الحكاية ، يمكن أن يظلّ على مسافة مما يقدمه الحكاية.

ثانياً/ يمكن للحكي أن يختار طريقة لضبط الإخبار "Information" الذي يرسله حسب إمكانية المعرفة لهذا الخبر أو ذاك، وهو ما يرتبط بوجهة النظر (12).

وانطلاقاً من قاعدة التمييز بين صيغة العرض و الحكاية، قدّم جينيت تمييزاً آخر تمثل في .

- محكي الأحداث "Récit D'évènements": يتضمن كلام السارد. وفيه تكون الصيغة هي الحكاية. وتقوم بوظيفة الإخبار عن أحداث ووقائع

- محكي الأقوال "Récit de Paroles": يتضمن خطاب الشخصيات. وفيه تكون صيغة السرد هي العرض. و تقوم بوظيفة نقل كلام الشخصيات. وقد توصل بعد ذلك إلى تمييز ثلاثة أنواع من الخطابات:

**نمط اشتغال صيغ الخطاب في "المقامات الربانية" قراءة في "المقامة العمرية" لشرف الدين
الحسين بن سليمان ابن الريان (702هـ-770هـ)**

1-الخطاب المسرود "Narrativisé": وهو الأبعد مسافة، عندما يقول بطل القصة [وأخبرت أُمي بعزمي على الزواج من ألبرتين] ، فإن الأمر إذا يتعلق بالأفكار لا بالأقوال. والملفوظ "enoncé" يمكن أن يكون أكثر اختصاراً، وأكثر دقة من الحدث العام [قررت الزواج من ألبرتين] ويمكن اعتباره حكي أفكار ، أو خطاباً داخلياً مسروداً

2-الخطاب المحوّل "Transposé" / أو الأسلوب غير المباشر: عندما يقول البطل [أقول لأُمي بأنني حتما سأتزوج من ألبرتين] ، فهذا الشكل أكثر محاكاة من الخطاب المسرود، وقوامه أن يحتفظ السارد بمضمون الكلام، ولكن بإدماجه نحويًا في قصة السارد ("قال لي، شرح لي، حدثني...")

3-الخطاب المنقول / أو الأسلوب المباشر: وهو الشكل الأكثر محاكاة، [قلت لأُمي: يجب مطلقاً أن أتزوج من ألبرتين]* ، حيث يترك الكلام للشخصية مباشرة، وينقله كما تلفظت به أي بشكل حرفي ، تماماً كما في أمثلة "حالة الحوار، والمونولوج".

ويشير بعد ذلك إلى العلاقة بين خطاب العرض المباشر "Immédiat" والخطاب المنقول، والخلط الذي يتم بينهما. ذاهباً إلى أن التمييز بينهما يكون عن طريق تبين مدى حضور أو غياب المدخل المنقول عن الراوي. وقدم نمطين هما:

-**الخطاب المنقول:** يتكلم فيه الراوي بصوت الشخصية ، أو أن الشخصية فيه تتكلم بصوت الراوي.

- **خطاب العرض المباشر:** يمضي الراوي تماماً، وتعرضه الشخصية.(13)

ثانياً- المقامات الربانية قراءة في المضمون والقيمة: يشير محمد ابن إبراهيم الدوخي* صاحب التحقيق إلى نسبة المقامات الربانية "لشرف الدين الحسين بن سليمان بن الريان" ،فهو وجه من وجوه الأدب في القرون الوسطى ؛ وذات قيمة ثمينة لأنها تعني بنثر أديب من أدباء العصر المملوكي ... جانب منها شيء مما يدخل في السحرية و العجائبية (14)

أما "المقامة العمرية" فهي المقامة الأولى في ترتيب المقامات، سميت بذلك نسبة للخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه). وقد تناولت لمحة عن عدله في قضائه بين رعيته، وتحكي خبر احتكام شابين قتل أحد الفتية والدهما ، وتبين اتساع صدره - رضي الله عنه- لسماع الطرفين ، وكيف أنه أمهل المدعى عليه حتى لا يضيع حق اليتيم الذي يكفله. كما تجسد هذه المقامة بعداً أخلاقياً عالياً يتمثل في الوفاء بالعهد ، والعفو عند المقدرة و العدل في الحكم .

ثالثاً:نمط اشتغال صيغ الخطاب في "المقامة العمرية": تتعدد صيغ الخطاب في المقامة العمرية وتنوع تبعاً لمقاصد الراوي ومراميها .

أولاً : صيغة الخطاب المسرود: وهو الخطاب الذي يرسله المتكلم وهو على مسافة مما يقوله(15)

ويقع في هذا الإطار نص المقامة التي استهلها الريان بقوله :
" أَخْبَرَنِي مَنْ أَتَى بِعَقْلِهِ، وَأَحْكَمَ بِصِحَّةِ نَفْلِهِ، قَالَ: أَغْرَبُ مَا نَفَلْتُهُ مِنْ الْأَخْبَارِ وَأَعْجَبُ مَا عَقَلْتُهُ عَنِ الْأَخْيَارِ، مِمَّنْ كَانَ يَحْضُرُ مَجْلِسَ الْإِمَامِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ خَلِيفَةَ الْإِسْلَامِ، فَيَسْمَعُ كَلَامَهُ وَيَتَدَبَّرُ أَحْكَامَهُ " .فهذه المقدمة على اختصارها تحمل في طياتها عدة مؤشرات :

1- مؤشر التوثيق: فالمعهود أن صيغة" حدثنا ... قال" التي ترد عادة في المقامات تدل على أن ما سيقدم بعدها سرد خيالي (16) ، غير أن القارئ في هذه المقامة ؛يجد نفسه أمام عبارة ممثلة لعنصر التوثيق ،خاصة بوجود المؤشر اللغوي " أتق " . إلى جانب ما ورد فيها من دلالات تؤسس لمشروعية هذا التوثيق على هذا النحو :

* مَنْ أَتَى بِعَقْلِهِ، وَأَحْكَمَ بِصِحَّةِ نَفْلِهِ ← الراوي " ثقة "

* مِمَّنْ كَانَ يَحْضُرُ مَجْلِسَ الْإِمَامِ ← الراوي مزامن للحدث " شاهد"

* يَسْمَعُ كَلَامَهُ وَيَتَدَبَّرُ أَحْكَامَهُ ← " الراوي عاقل"

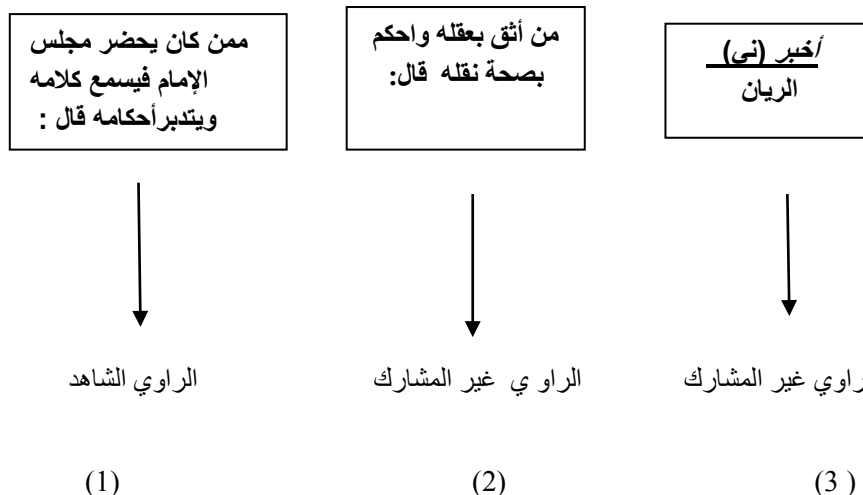
2 - مؤشر الغرابة : وهو ما صرح به الراوي الثاني بقوله "أَغْرَبُ مَا نَفَلْتُهُ مِنْ الْأَخْبَارِ وَأَعْجَبُ مَا عَقَلْتُهُ عَنِ الْأَخْيَارِ" ، فمضمون المقامة على ما فيه من الغرابة، يحمل في طياته ما يؤسس لصحته ، ويبعث على تصديقه. استناداً على الحمولة المعرفية والثقافية للقارئ حول ما أثر عن عدل الخليفة وحكمته. ويضطلع بهذا النمط من الخطاب المسرود راويان اثنان هما:

أ- الراوي غير المشارك : وهو الراوي الذي يتخذ مسافة من الشخصيات " ينظر إليها نظرة الراصد الملاحظ لأفعالها من بعيد ، أو نظرة المتتبع لأخبارها فقط " (17) ، وتبعاً لوجوده خارج نطاق الأحداث فإنه يتولى تقديمها بصيغة الخطاب المسرود ، ويتمثل في نص المقامة في :

- ابن الريان : الذي تبنى هذا الدور منذ البداية فقد أعلن في مستهل مقاماته عن سبب تأليفها وبواعثه فأورد : "يقول العبد الفقير، المعتزف بالتقصير، الحسين بن سليمان بن الريان غفر الله لهم، إني سمعت من الحكايات شيئاً كثيراً واستحسنيت منها (1) ما لو جمعتها لكان جزءاً كثيراً، فانتخبت منها عشراً، وانتقيت منها غرائب لو دارت على الأسماع لأرشفتها خمراً، وسببت العقول بحسن بيئاتها، وإن من البيان لسحراً. فأودعتها درراً، وأبدعتها نظماً ونثراً، وأبرزتها في صورة مقامات جمّة المنافع، حسنة المواقع مشتملة على غرائب البدائع وعجائب الوقائع 18".

- الراوي الثقة : وهو الذي أخذ عنه الريان لثقته في أمانته ، وقد أعلن عن وجوده منذ البداية فقال " أخبرني من أتق بعقله، وأحكم بصحة نقله، قال: أغرب ما نقلته من الأخبار وأعجب ما عقلته عن الأخبار، ممن كان يحضر مجلس الإمام عمر بن الخطاب خليفة الإسلام، فسمع كلامه ويتدبر أحكامه " . و الراوي الثقة " هو الذي يجد القارئ في طرحه وعرضه أو في تعليقاته على القصة ، مأخذ الاعتبار السلطوي للحقيقة ... " (19) ولعل مبدأ الثقة هنا مستمد من مؤشر التوثيق ، لذلك اكتفى كلاهما بسرد الأحداث و نقل الصورة عن الراوي الشاهد دون التدخل في مجرياتها أو التعليق عليها .

ب/ الراوي الشاهد : وهو الذي حضر مجلس الإمام ونقل الخبر فقال " بينما الإمام قد جلس في بعض الأيام، وعنده أكابر الصحابة، وأهل الرأي والإصابة وهو يفصل القضايا، ويحكم بين الرعايا، إذ أقبل عليه... ولا يستدل على اسمه أو هيبته أو مكانته بلفظ صريح بل يستفاد المعنى والدلالة من سياق الحديث، ومن طريقة نقل ابن الريان له على لسانه باعتباره الراوي الوحيد الشاهد، فهو الأساس في نقل الوقائع وإثباتها؛ لأن الإحساس بصدق الرواية لا ينبع من الثقة في الراوي ، تلك الثقة المؤيدة بشهادته للأحداث أو مشاركته فيها فحسب؛ وإنما ينبع من أن طريقة العرض نفسها تخيل للقارئ كأنه يرى الأحداث المعروضة بنفسه (20) ويمكن تلخيص العلاقة بينهم جميعاً على النحو التالي :



والملاحظ أن الراوي الشاهد قد اعتمد صيغة الخطاب المسرود بغرض الوصف خاصة باعتباره " صيغة إخبار يقدم فيها السارد الشخصية أو يصف الظروف الزمكانية للحدث (21) وقد جسد ذلك عبر محطات هي :

نمط اشتغال صيغ الخطاب في "المقامات الربانية" قراءة في "المقامة العمرية" لشرف الدين الحسين بن سليمان ابن الريان (702هـ-770هـ)

- وصف الأجواء وتصويرها: إذ تعين المساحة التي تتيحها صيغة الخطاب المسرود مسافة للراوي الشاهد تمكنه من نقل تفاصيل الحدث وحيثياته وما يحيط به ففي قوله: "بَيْنَمَا الْإِمَامُ قَدْ جَلَسَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ، وَعِنْدَهُ أَكْبَرُ الصَّحَابَةِ، وَأَهْلُ الرَّأْيِ وَالْإِصَابَةِ وَهُوَ يَفْصِلُ الْقَضَايَا، وَيَحْكُمُ بَيْنَ الرِّعَايَا، إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ شَابٌّ حَسَنُ الشَّيْبِ، نَظِيفُ الْأَثْوَابِ، قَدْ اكْتَنَفَهُ شَابَانٌ مِنْ أَحْسَنِ الشَّيْبِ، وَقَدْ جَذِبَاهُ وَسَحَبَاهُ وَأَوْقَفَاهُ بَيْنَ يَدَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلِبْيَاهُ، فَلَمَّا وَقَفُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَنَظَرَ إِلَيْهِمَا وَإِلَيْهِ، أَمَرَهُمَا بِالْكَفِّ عَنْهُ وَدَنُوهُ مِنْهُ" (22) تمكن من تقديم لمحة عن الجو الذي كان سائدا في مجلس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فهو فضاء منفتح على الآخر، يتسم بالشفافية والوضوح لاسيما بعدما أكد الراوي على حضور الصحابة الكرام وأصحاب الرأي الأفاضل هذه المجالس التي كان يفصل فيها الخليفة في قضايا الرعية.

- وصف الشخصيات: لقد أعانت صيغة الخطاب المسرود المعتمدة على فاعلية "العين الباصرة" في تسجيل الوقائع والأحداث وحركات الشخص و سلوكياتهم، وبالتالي جعلت المتلقي أكثر إحساسا بالاشياء (23) وأكثر تفاعلا معها. فقد اهتم الراوي برصد الهيئة الخارجية للشخصيات أحيانا؛ فوصف الفتى واتسامه بالحسن قائلا "...شَابٌّ حَسَنُ الشَّيْبِ" (24) وفي وصفه للشابين وقوتهما قال "قَدْ اكْتَنَفَهُ شَابَانٌ مِنْ أَحْسَنِ الشَّيْبِ، وَقَدْ جَذِبَاهُ وَسَحَبَاهُ" (25). كما كان اهتمامه منصبا على الجانب النفسي للشخصيات أحيانا أخرى كقوله "...وَالْغُلَامُ مَعَ ذَلِكَ ثَابِتُ الْجَاشِ، خَالٍ مِنَ الْاسْتِيحَاشِ، قَدْ خَلَعَ لِبَاسَ الْهَلَعِ، وَنَزَعَ رِدَاءَ الْجَزَعِ. قَدْ تَبَسَّمَ عَنْ مِثْلِ الْجَمَانِ، وَتَقَدَّمَ ثَابِتُ الْجَنَانِ وَتَكَلَّمَ بِأَفْصَحِ لِسَانٍ وَسَلَّم بِكَلِمَاتِ حِسَانٍ" (26)

ثانيا: صيغة الخطاب المسرود الذاتي: وهو صيغة يستعملها الراوي مركزا على ذاته ساردا ما تعلق بماضيهما، فيكون المتكلم راويا تشخيصية في الوقت نفسه " (27) يجسده في المقامه كل من الشابين والفتى على النحو التالي:

1/ الشابين وقصتهما مع الفتى قاتل أبيهما، واحتكامهما إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، جاء على لسانهما:

"نَحْنُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخَوَانُ شَقِيقَانِ، جَدِيرَانُ بِاتِّبَاعِ الْحَقِّ حَقِيقَانِ. كَانَ لَنَا أَبٌ شَيْخٌ كَبِيرٌ، حَسَنُ التَّدْبِيرِ، مُعَظَّمٌ فِي قَبَائِلِهِ وَمُتَنَزَّهٌ عَنْ رَذَائِلِهِ، مَعْرُوفٌ بِقَضَائِلِهِ، رِيَّانًا صَغَارًا، وَأَعَزَّنَا كِبَارًا، وَأَوْلَانَا مِنَّا عَزَارًا كَمَا قَالَ:

أَبُونَا أَبٌ لَوْ كَانَ لِلنَّاسِ مِثْلُهُ
أَبٌ آخَرُ أَغْنَاهُمُ الْمَنَاقِبُ
خَرَجَ الْيَوْمَ إِلَى حَدِيقَةٍ لَهُ يَتَنَزَّهُ فِي أَشْجَارِهَا، وَيَقْتَطِفُ يَتَاعَ ثَمَارِهَا، فَقَتَلَهُ هَذَا الشَّابُّ، وَعَدَلَ عَنْ طَرِيقِ الصَّوَابِ، وَيَسْأَلُ الْقِصَاصَ عَمَّا جَنَاهُ وَالْحُكْمَ فِيهِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ" (28).

2/ الفتى وقصة قتله للرجل والد الشابين، واستمالته للخليفة، وقد جاء على لسانه:

"وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ وَعَيْتُ مَا ادْعَيْتُ، وَصَدَقْتُ فِيمَا نَطَقْتُ، وَخَبَّرْتُ بِمَا جَزَى، وَعَبَّرْتُ عَمَّا طَرَى، وَسَأَنْهِيَ قَضِيَّتِي بَيْنَ يَدَيْكَ وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ"، إَعْلَمُ أَنِّي مِنْ غُرَبَاءِ الْعَرَبِ الْعَرَبَاءِ، نَبْتُ بِي مَبَازِلُ الْبَادِيَةِ، وَضَبَحْتُ عَلَى أَسْوَدِ السِّنِينَ الْعَادِيَةِ، فَأَقْبَلْتُ إِلَى ظَهْرِ هَذَا الْبَلَدِ، بِالْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ، فَافْضَتْ بِي بَعْضُ طَرَائِقِهَا، إِلَى الْمَشْيِ بَيْنَ حَدَائِقِهَا، وَمَعِيَ نِيَاقُ حَبِيبَاتٍ إِلَى عَزِيزَاتٍ عَلَيَّ، فِيهَا فَحْلٌ كَرِيمُ الْأَصْلِ، كَثِيرُ النَّسْلِ، مَلِيحُ الشَّكْلِ حَسَنُ النَّتَاجِ، يَمْشِي فِيهَا كَالْمَلِكِ عَلَيْهِ النَّجَاجُ، فَدَنْتُ بَعْضُ النَّوْقِ إِلَى حَدِيقَةٍ ظَهَرَتْ مِنَ الْحَائِطِ أَطْرَافُ شَجَرِهَا، فَتَنَاولْتُهُ بِمَشْفَرِهَا، فَطَرَدْتُهَا عَلَى تِلْكَ الْحَدِيقَةِ. فَإِذَا شَيْخٌ قَدْ ظَهَرَ وَزَفَرَ، وَتَسَوَّرَ الْحَائِطَ وَطَفَرَ، وَبِيَدِهِ الْيُمْنَى حَجَرٌ، وَتَهَادَى كَاللَّيْثِ إِذَا فَطَرَ، وَضَرَبَ الْفَحْلَ بِذَلِكَ الْحَجَرِ، فَقَتَلَهُ وَأَصَابَ مَقْتَلَهُ، فَلَمَّا رَأَيْتُ الْفَحْلَ قَدْ سَقَطَ لِحْنِيهِ وَانْقَلَبَ، تَوَقَّدْتُ جَمْرَاتِ الْغَضَبِ، فَتَنَاولْتُ ذَلِكَ الْحَجَرَ بِعَيْنِي وَضَرَيْتُهُ بِهِ، فَكَانَ سَبَبًا فِي حِينِهِ وَلَقِي سَوْءَ مُنْقَلَبِهِ، وَالْمَرْءُ مَقْتُولٌ بِمَا قَتَلَ بِهِ، بَعْدَ أَنْ صَاحَ صَيْحَةً عَظِيمَةً، وَصَرَخَ صَرَخَةً أَلِيمَةً، فَاسْرَعْتُ مِنْ مَكَانِي جَهْدَ إِمْكَانِي، فَلَمْ يَكُنْ بِأَسْرَعٍ مِنْ حُضُورِ هَذَيْنِ الشَّابَّيْنِ فَأَدْرَكَانِي وَأَمْسَكَانِي وَأَحْضَرَانِي وَهَانَا كَمَا تَرَانِي" (29)

والملاحظ في هذين المثالين أن صيغة الخطاب المسرود الذاتي التي وظفها الطرفان قد أعانت كل واحد منهما على بيان ما يعتل في داخله، ولكن مع اختلاف في وجهات النظر؛ فبالنسبة للشابين فالفتى مجرم لقتل والدهما، أما الفتى فيرى في تصرفه رد فعل طبيعي وجزاء عادلا للرجل الذي قتل الجمل. 3/ قصة الفتى مع اليتيم وطلب الإمهال من الخليفة، وقد وردت هذه القصة بصيغة المسرود الذاتي وجاء فيها:

" سَمِعَا لَمَّا حَكَمَ بِهِ الْإِمَامُ وَرَضَا بِمَا اقْتَضَتْهُ شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ؛ لَكِنْ لِيَأْخُ صَغِيرٌ، وَكَانَ لَهُ أَبٌ شَيْخٌ كَبِيرٌ، خَصَّهُ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِمَالٍ جَلِيلٍ، وَبِذَهَبٍ كَثِيرٍ جَزِيلٍ، وَأَحْضَرَهُ بَيْنَيْدِيٍّ وَسَلَّمَهُ إِلَيَّ وَأَشْهَدُ اللَّهَ عَلَيَّ، وَقَالَ هَذَا لِأَخِيكَ عِنْدَكَ فَأَحْفَظْهُ جَهْدَكَ، فَاتَّخَذْتُ لِدَافِ الْمَالِ مَدْفَنًا وَوَضَعْتُهُ، فِيهِ فَلَا يَعْلَمُ بِهِ إِلَّا أَنَا، فَإِنْ حَكَمْتَ الْآنَ بِقَتْلِي ذَهَبَ الذَّهَبُ وَكُنْتَ أَنْتَ السَّبَبُ وَطَالَبَكَ الصَّغِيرُ بِحَقِّهِ يَوْمَ يَقْضِي اللَّهُ بَيْنَ خَلْقِهِ. وَإِنْ أَنْظَرْتَنِي ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، أَقَمْتُ مَنْ يَتَوَلَّى أَمْرَ الْغُلَامِ، وَعَدْتُ وَافِيًا بِالذِّمَامِ، وَلِي مَنْ يَضْمَنْنِي عَلَى هَذَا الْكَلَامِ. (30)

وهنا ساهمت صيغة المسرود الذاتي في الكشف عن بعض جوانب شخصية الفتى، والمسؤولية التي ألحها الأب على عاتقه، مما سهل مهمته مع الخليفة فيما تعلق بطلب الإمهال لثلاثة أيام. وهي المدة التي تكفيه ليؤكد بأخيه اليتيم من يتولى أموره ويحفظ ماله.

ثالثا / صيغة الخطاب المعروض غير المباشر: وفيه يتدخل الراوي عندما نتحدث شخصية إلى أخرى، ويُستدل على هذا النمط من خلال مصاحبات القول " قال، قال...." وقد ظهر هذا في أكثر من موضع ومن ذلك:

- قال: "أَيُّنَ الْغَرِيمُ يَا أَبَا ذَرٍّ؟ كَيْفَ رُجُو عَمِّنَ قَرٍّ"
 - فقال أبو ذر: "وَحَقَّ جَلَالُ اللَّهِ، الْمَلِكُ الْعَلِيمُ إِنَّ انْقَضَى تَمَامَ الْأَيَّامِ وَمَا حَضَرَ الْغُلَامُ، وَفِيَتْ بِالضَّمَانِ، وَأَسْلَمْتُ نَفْسِي وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ"
 - فقال الإمام عمر: "وَاللَّهِ إِنْ تَأَخَّرَ الْغُلَامُ لِأَصِيبَنَّ بِأَبِي ذَرٍّ مَا تَقْتَضِيهِ شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ"
- عموما فقد مثلت صيغة المعروض غير المباشر لبنية أساس في بناء المقامة العمرية، مما أفضى مسحة من المصادقية على مضمونها من جهة وأشاع لذة المشاركة من جهة ثانية؛ إذ يشعر المتلقي وكأنه حاضر يسمع ويرى.

الخاتمة:

- تبيين بعد رصد أنماط صيغ الخطاب في المقامة العمرية ما يلي:
- 1/ أن المقامة العمرية نص نثري تبني نمط الخطاب المسرود المركب لتوثيق الخبر وبيان ما فيه من قيم نبيلة؛ إذ يتناقل الرواة اللثاني والثالث مضمون الخبر الذي تبني عليه المقامة، عن الراوي الأول الشاهد؛ الذي اعتمد هو الآخر على نمص الخطاب المسرود مشفوعا بالخطاب المعروض غير المباشر لنقل الحدث وتوثيق الخبر.
 - 2/ إن صيغ الخطاب المسرود والمعرض غير المباشر تعمل بشكل متواتر مما أضفى طابع التجانس على بنية المقامة.
 - 3/ جسدت المقامة مبدأ التبادل في زاوية الخطاب فما يعد خطابا مسرودا بالنسبة للراوي، هو خطاب معروض بالنسبة للشخصيات. وما يعد خطابا مسرودا بالنسبة للراوي هو خطاب مسرود ذاتي بالنسبة للشخصية.

الهوامش والإحالات:

- 1- ابن منظور: لسان العرب. طبعة المعارف. مادة (ص ي غ)
- 2- سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة. دار الكتاب اللبناني. بيروت. لبنان. ط1. 1985. ص(138)
- 3- جبرار جينيت: خطاب الحكاية-بحث في المنهج. ترجمة: محمد معتصم. منشورات الاختلاف. الجزائر. ط3. 2003. ص(177) والنص بلغته الأصلية:

"Terme de grammaire. Nom donné aux différentes formes du verbe employées pour affirmer plus ou moins la chose dont il s'agit, et pour exprimer non pas le temps, mais les différents points de vue auxquels on considère l'existence ou l'action."

**نمط اشتغال صيغ الخطاب في "المقامات الربانية" قراءة في "المقامة العمرية" لشرف الدين
الحسين بن سليمان ابن الريان (702هـ-770هـ)**

- ينظر: معجم ليطريه: نسخة الكترونية صادرة عن دار هاشيت 2014..
- 4-محمد القاضي:معجم السرديات. دار محمد علي للنشر. تونس. ط1. 2010. ص(278)
- 5-المرجع نفسه: ص(278)
- 6-جيرالد برنس: قاموس السرديات. ترجمة السيد إمام. ميريت للنشر. القاهرة. ط1. 2003. ص(115)
- 7- محمد بوعزة: تحليل النص السردى تقنيات و مفاهيم. دار الأمان. الرباط. المغرب. ط1. 2010. ص (109)
- 8 - محمد علي الشوابكة: السرد المؤطر في رواية النهايات لعبد الرحمن منيف – البنية والدلالة. عمان. الأردن. (ط. 2006. ص(135).
- 9-جيرار جينيت:خطاب الحكاية. ص(178)
- 10- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي (الزمن-السرد-التبئير). المركز الثقافي العربي. بيروت. لبنان. ط3. 1998 ص(174)
- 11- سعيد يقطين: السرديات والتحليل السردى – الشكل والدلالة. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب. ط1. 2012. ص(43)
- 12- ينظر: جيرار جينيت: خطاب الحكاية. ص ص (178-216).
- 13- ينظر: المرجع نفسه: ص ص (185 – 191)
- * محمد ابن إبراهيم الدوخي: صاحب التحقيق وقد نشر ثلاث مقامات - من أصل العشرة التي حققها - في مجلة الأثر العدد العاشر(مارس 2011) ؛ وهي دورية دولية متخصصة محكمة في الآداب واللغات تصدر عن جامعة قاصدي مرباح - ولاية ورقلة .
- 14- مجلة الأثر: ص(180)
- 15-جيرار جينيت: خطاب الحكاية.ص(185)
- 16- أيمن بكر: السرد في مقامات الهمذاني. الهيئة المصرية العامة(ط.دت).ص(141) .
- 17-عبد الرحيم الكردي: الراوي والنص القصصي. دار النشر للجامعات. القاهرة. مصر. ط2. 1996. ص(120)
- 18-مجلة الأثر: ص(189)
- 19- يان مانفريد: علم السرد –مدخل إلى نظرية السرد. ترجمة:أمانى أبو رحمة. دار نينوى. سوريا. ط1. 2011. ص(139)
- 20-عبد الرحيم الكردي: الراوي والنص القصصي..ص(125)
- 21-يان مانفريد: علم السرد –مدخل إلى نظرية السرد.ص(125)
- 22- مجلة الأثر:ص(189)
- 23- عبد الرحيم مرشدة: الخطاب السردى و الشعر العربى. عالم الكتب الحديث. إربد. الأردن. ط1. 2012. ص (23)
- 24-مجلة الأثر:ص(189)
- 25- مجلة الأثر:ص(189)
- 26- مجلة الأثر:ص(190)
- 27- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي (الزمن-السرد-التبئير). ص(133)
- 28 - مجلة الأثر: ص ص (189،190) .
- 29- مجلة الأثر:ص 189 .
- 28- مجلة الأثر: ص 190 .
- 29- مجلة الأثر: ص 191 .
- 30 – مجلة الأثر: ص 191 .